

دور مسلمي جنوب إفريقيا في دعم حركة الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي 1911 من خلال بعض الوثائق العثمانية

د.الناجح محمد الأخضر

كلية الآداب الزاوية - جامعة الزاوية

يتناول هذا البحث دور مسلمي جنوب أفريقيا⁽¹⁾ في دعم حركة الجهاد، تضامناً مع إخوانهم المسلمين في ليبيا في أعقاب مهاجمة إيطاليا للأراضي الليبية في عام 1911م، عن طريق التبرعات التي وصلت إلي المجاهدين من خلال الدوائر الرسمية للحكومة التركية، بعد أن أحدث العمل العدواني الإيطالي على ليبيا في عام 1911م صدىً كبيراً في الأوساط العربية والعالمية، حيث ندد محبو السلام والحرية بالأعمال القمعية والوحشية التي ارتكبتها إيطاليا ضد الأهالي باستخدامها لأحدث الأسلحة الحديثة في سبيل تحقيق أغراضها لاحتلال ليبيا .

ولقد سبق للباحث دراسة هذا الموضوع في جزئية من كتاب مصادر الإمداد والتموين وأثرها في استمرار حركة الجهاد الليبي 1911 - 1931، والذي نشره مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية⁽²⁾ وكذلك مجلة الوثائق والمخطوطات في العدد التاسع عشر والعشرون لسنة 2003 . 2004.

وبما ان هذا البحث قد مر عليه فترة فقد طلب الى بعض الاصدقاء من اعضاء حياة التدريس من اعادة نشرة معيدا النظر في بعض مادته من الوثائق .

ولمعرفة موقف المسلمين⁽³⁾ في جنوب أفريقيا من الحرب في ولاية طرابلس الغرب⁽⁴⁾ يتحتم علينا طرح بعض التساؤلات، من أبرزها كيف عبر المسلمون عن غضبهم في هذه المناطق من جراء العمل العدواني الإيطالي ؟ وكيف كانت مساهمات المسلمين في هذه المناطق ؟ وسنحاول أن نناقش هذا الموضوع من جديد وبرؤية جديدة من خلال ما توفر من وثائق، في المحاور أو النقاط التالية:

1/ التنديد بالغزو الإيطالي من قبل مسلمي جنوب أفريقيا .

2/ التبرعات النقدية من بعض المسلمين في جنوب أفريقيا .

التنديد بالغزو الإيطالي:

أدت الاعمال القمعية والمذابح التي ارتكبتها إيطاليا ضد العزل من النساء والشيوخ والأطفال إلي استياء العديد من الأفارقة، وهو ما عبرت عنه صحيفة الاتحاد الإسلامي الصادرة بتونس بتاريخ نوفمبر 1911 في مقال لها تحت عنوان: (الدولة العثمانية بين الظفر وانعطاف المسلمين) تقول فيه وقد نقل صدى انعطاف المسلمين للدولة العلية العثمانية (تركيا) من بحيرة تشاد وحدود نهر النيجر إلي وادي وسلطنة دار فور فقام ملوك تلك الممالك ورعاياها بمؤازرة الدولة بالمال والرجال والمؤن والذخيرة⁽⁵⁾.

وفي هذا الصدد كانت مؤازرة المسلمين من جنوب أفريقيا لإخوانهم المجاهدين عقب العدوان على الأراضي الليبية هو التنديد، والشجب والدعم المادي وقامت بعقد عدة مؤتمرات جمعت فيها التبرعات لدعم حركة الجهاد الليبي، حيث أشارت بعض الوثائق إلي أن المسلمين في هذه المناطق عقدوا عدة مؤتمرات شجّبوا فيها هذا العمل العدواني على ليبيا، فقد وردت رسالة مترجمة لجمعية الهلال الأحمر بمدينة دوربان⁽⁶⁾ إلي جمعية الهلال الأحمر العثماني، أن المسلمين بهذه المدينة من إقليم ناتال عقدوا مؤتمراً أصدروا من خلاله عدة قرارات نددت بالغزو، وتم في هذا الاجتماع جمع تبرعات أرسلت بالمصرف من الهلال الأحمر بدوربان إلي الهلال الأحمر العثماني⁽⁷⁾.

وجاء في رسالة وزارة الخارجية العثمانية مرسلّة إلي رئيس جمعية الهلال الأحمر العثماني، بأن مسلمي إقليم ناتال عقدوا مؤتمراً شجّبوا فيه العدوان وأصدروا عدة قرارات نددت بالغزو الإيطالي، وأشارت إلي ان تبرعات أرسلت لصالح أرامل وأيتام الحرب في طرابلس الغرب، وعلى الفور قامت السلطات التركية بإبلاغ القنصل العثماني في لندن بتوجيه رسالة شكر للمسلمين في هذه المناطق⁽⁸⁾.

التبرعات النقدية من بعض مدن جنوب أفريقيا:

نظراً لبعده المسافة ما بين الشمال الأفريقي والطرف الجنوبي من القارة فإن مساهمة المسلمين من هذه المناطق كانت عبارة عن تبرعات نقدية حاول أصحابها المساهمة بقوت

د.الناجح محمد الأخضر

دور مسلمي جنوب أفريقيا في دعم حركة الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي...

يومهم وقوت عيالهم لصالح حركة الجهاد، حيث أرسلت هذه التبرعات للمجاهدين عن طريق قناصل الدولة العثمانية في هذه المناطق.

أما قيمة المبالغ المالية التي أرسلت فإن بعض الوثائق تشير إلي أنه تم جمع مبلغ وقدره 200 مائتا ليرة من جمعية الأهالي المسلمين بمدينة كيب تاون⁽⁹⁾ أرسلت للقنصل العثماني في مدينة جوهانسبرج⁽¹⁰⁾ لتحويلها وإرسالها إلي الدولة العثمانية لصالح مجاهدي طرابلس الغرب⁽¹¹⁾، وقد تم تحويل هذا المبلغ، بعد إشعار القنصل العثماني بمدينة جوهانسبرج بوصول المبلغ من خلال رسالة موجهة إليه من وزارة الخارجية⁽¹²⁾. وتم تحصيل مبلغ 20 ليرة، ومبلغ 12 اثنتي عشرة ليرة من نفس المنطقة⁽¹³⁾ وقدم مسلمو المدينة من الهنود⁽¹⁴⁾ مساعدات كمعونة حربية⁽¹⁵⁾.

وحسب إشارة إحدى الوثائق فإن الإعانات والتبرعات التي كانت تأتي من المسلمين في مدينة كيب تاون، في جلها كانت ترسل على هيئة صكوك وهذا ما أوضحته رسالة إلي وزارة الخارجية العثمانية، والتي جاء فيها (إن الإعانات المالية التي قدمها مسلمو مدينة كيب تاون كانت على هيئة صكوك)⁽¹⁶⁾.

التبرعات النقدية من مدينة جوهانسبرج:

قام المسلمون بهذه المدينة مثلهم مثل إخوانهم المسلمين في مدينة كيب تاون و دوربان، ووغیرها من المدن الأخرى بجمع تبرعات لصالح المجاهدين، وهو ما أشارت إليه بعض الوثائق، فقد جاء في رسالة من وزارة الشؤون الخارجية إلي مقام الصدارة بتاريخ 18-12-1911. لعله من الأنسب أن نسوق مما جاء فيها: (وردت لسفارتنا بلندن ثلاث دفعات من مبالغ مالية عن طريق قنصلنا بمدينة يوهانسبرج، وذلك بعد عقد المسلمين بهذه المدينة مؤتمراً نددوا فيه بأعمال إيطاليا العدوانية بطرابلس الغرب)⁽¹⁷⁾.

وأبلغت السفارة العثمانية بلندن وزارة الخارجية بوصول عدة دفعات من مبالغ مالية من مسلمي يوها نسبرج عن طريق القنصل بالمدينة، وذلك لصالح جمعية الهلال الأحمر العثماني⁽¹⁸⁾، حتى أن بعض الوثائق أشارت إلي المبالغ المالية وبالأرقام، ومنها أنه تم جمع مبالغ مالية قدرت بحوالي 644 ستمائة وأربع وأربعين ليرة لصالح جمعية الهلال الأحمر العثماني بواسطة يوهانس ماريتان رئيس القناصل⁽¹⁹⁾.

د.الناجح محمد الأخضر

دور مسلمي جنوب أفريقيا في دعم حركة الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي...

وأوردت بعض الوثائق التأكيد على وصول مبالغ تقدر بالآلاف من مدينة جوهانسبرج عن طريق القنصل لصالح الجمعية وهو ما جاء في رد جمعية الهلال الأحمر العثماني في رسالة لها بتاريخ 1912/1/25 إلي وزارة الخارجية⁽²⁰⁾. وأعربت عن امتنانها لجهود القنصل العثماني في مدينة جوهانسبرج وطلبت منه أن يقوم بجولات للدواخل لجمع المزيد من تبرعات المسلمين لصالح المجاهدين معربة عن ارتياحها بجمع آلاف الليرات كتبرعات من مسلمي جنوب أفريقيا لصالح المجاهدين⁽²¹⁾.

وفي هذا الشأن أشارت إحدى الوثائق إلي أن وزير الخارجية العثماني طلب من القنصل في مدينة جوهانسبرج القيام بعدة جولات في أنحاء متفرقة من أراضي جنوب أفريقيا لجمع المزيد من التبرعات، لصالح المجاهدين⁽²²⁾.

وقد أشعرت السفارة العثمانية بلندن في رسالة لها إلي وزارة الخارجية بتاريخ 21-03-1912، أن مبلغاً وصل كتبرعات من المسلمين في جوهانسبرج لصالح جمعية الهلال الأحمر العثماني قُدِّر بحوالي 6136 ليرة ستة آلاف ومائة وست وثلاثين، وقد وصل هذا المبلغ على دفعات باسم المركز العام للجمعية⁽²³⁾.

لقد كان لهذه المساهمة من الجالية المسلمة في جنوب أفريقيا صدقاً لدى المسلمين، في بعض المناطق الأخرى القريبة من جنوب أفريقيا، ففي رسالة من السيد محمد حسين المقيم في مدينة بورث لوى الكائنة في جزيرة موريس⁽²⁴⁾ والتي أشار فيها إلي أنه عقد اجتماع بمسرح المدينة تحت رئاسة السيد محمد إسحاق نائب رئيس البلدية حضره جمع غفير من المسلمين بتاريخ 5 نوفمبر 1911 خطب فيه أحد المسلمين وهو الحاج الطاهر تم أعقبه محمد حسن غلام، فقال: (إن مسلمي جنوب أفريقيا جمعوا 15000 خمسة عشر ألف روبية⁽²⁵⁾) لمساعدة المرضى وأيتام وأرامل الشهداء في طرابلس الغرب، فهل نستطيع نحن أن نحذو حذوهم، وقد كان لهذا الخطاب أثره في نفوس المسلمين بهذه المدينة فقاموا وبعد هذا الاجتماع والخطاب بجمع عشرة آلاف روبية⁽²⁶⁾.

وهكذا ومن خلال هذه الوثائق نلاحظ الآتي:

1/ أن الدلائل تشير إلي أن المسلمين في مناطق جنوب أفريقيا لم يقفوا مكتوفي الأيدي بل ساهموا في دعم حركة الجهاد بالأموال حسب ما أشارت إليه الوثائق لأن بعد المسافة حال دون وصول المسلمين لهذه المناطق للمساهمة في الحرب وفي جبهات القتال .

2/ أن هذه الأموال والتبرعات التي وصلت من المسلمين من جنوب أفريقيا وغيرها من المناطق الأخرى من الأقطار الإسلامية قد وفرت للخزينة الشيء الكثير وساعدت المجاهدين في الفترة الأولى من بداية العدوان، فارتفعت معنوياتهم في التصدي للعدوان الهجمي البربري على بلادهم.

3/ الرغبة الصادقة من المسلمين في هذه المناطق في الجهاد غيرة على الإسلام والمسلمين وذوداً عن العقيدة، وخاصة ان المسلمين في هذه المناطق والمناطق الأخرى في جنوب شرق آسيا خضعت للاستعمار وجربت ويلات وادركت خطورته من خلال التسلط والقهر، الذي مورس ضدهم.

4/ أن أغلب التبرعات النقدية وصلت إلي جمعية الهلال الأحمر العثماني التي بدأت في حملة لتجميع هيئة للسفر إلي ليبيا في بداية العدوان الإيطالي، حتى أنها كانت أول من استجاب لحالة التعبئة العامة فيوزارة الحرب التركية كان أول عمل بادرت إليه الجمعية تكوين هيئة صحية بكامل معداتها اللازمة في العلاج ومداوة الجرحى لإرسالها إلي ليبيا على هيئة بعثات توزعت في العديد من المناطق وعلى معسكرات المجاهدين⁽²⁷⁾.

5/ شعور المسلمين في هذا الجزء من الأرض الأفريقية، بأن هذه الحرب هي حرب غير متكافئة، وهو ما عبر عنه المسلمون في قراراتهم حين نددوا وشجبوا هذا العدوان، الذي أثار في نفوس عدد كبير منهم .

وفي خاتمة هذا البحث يمكن ان نقول إن جهاد الليبيين في سبيل الحق، ودفاعاً عن الحرية والكرامة والعزة والدين والشرف والمثل العليا، أوجع نفوس المسلمين في كثير من البلدان الإسلامية، وفي نفوس المسلمين في هذا الجزء من الأراض الأفريقية، والتزموا بأوامر ونواهي الدين الإسلامي امتثالاً لقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ

د.الناجح محمد الأخضر

دور مسلمي جنوب أفريقيا في دعم حركة الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي...

وَيُشَبِّثُ أَقْدَامَكُمْ) صدق الله العظيم (محمد:7). وقال الله تعالى(وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ { صدق الله العظيم (الروم:46).

ان الغزو الإيطالي لليبيا احدث صدى عميق في مختلف الدول العربية والاسلامية فكان شعور الاسى والحزن والتعاطف حيث تحول الى حماسة عند بعض القادرين فقصدوا طرابلس للمشاركة في الجهاد لكن اخرين ونتيجة لظروفهم الخاصة قرروا الجهاد بالتبرع بأموالهم وقوت عيالهم في سبيل الله.

الهوامش:

- (1) تعرف الآن باسم جمهورية جنوب أفريقيا (مساحتها حوالي 500، 228، 1 كم مربع، كانت ضمن مجموعة الأمم الكومنولث البريطاني، عاصمتها بريتوريا أعلنت في عام 1961 الجمهورية وأصبحت تعرف باسم جمهورية جنوب أفريقيا) وحتى الآن، انظر محمد شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، بيروت، لبنان . دار إحياء التراث العربي 1407 هـ / 1987 م ص47.
- (2) الناجح محمد الأخضر ، مصادر الإمداد والتموين وأثرها في استمرار حركة الجهاد الليبي 1911- 1931 طرابلس - ليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الطبعة الأولى 2007 م .
- (3) وصل الإسلام إلي هذه المناطق في أعقاب سيطرة المستعمرين الهولنديين على جزر إندونيسيا وشبه جزيرة الملايو في آسيا في حوالي 1062 هـ / 1662م، حيث قام الهولنديون بترحيل عدد كبير من المسلمين الذين أعلنوا الثورة والعصيان ضد الوجود الهولندي في هذه المناطق، وكان من بين المرشحين الشيخ يوسف شفيق ملك جاءوا وزعيم المقاومة ، ومعه حوالي 49 شخصاً مسلماً فكان هؤلاء هم طليعة المسلمين .
- (4) وهو الاسم الذي أطلقه العثمانيون على ولاية طرابلس الغرب تمييزاً لها عن طرابلس الشام طيلة فترة حكمهم من عام 1551م / 1911م، والباحث عندما يذكر طرابلس الغرب يعني بذلك ليبيا بأكملها .

- (5) محمد صالح الجابري، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية، ج1، الدار العربية للكتاب، تونس، ليبيا، 1982، ص788.
- (6) مدينة بإقليم ناتال، وهي ميناء على خليج ناتال بالمحيط الهندي. محمد شفيق غربال الموسوعة العربية الميسرة، مصدر سابق ص788 .
- (7) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية، الوثائق العثمانية، وثائق بدون تصنيف، تاريخها 1912/3/17 ترجمة د.عبدالكريم أبو شويرب .
- (8) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية، الوثائق العثمانية، وثائق بدون تصنيف، تاريخها 1912/3/23 ترجمة د.عبدالكريم أبو شويرب .
- (9) عاصمة ولاية الكاب ومقر السلطة التشريعية أسسها الهولنديون عام 1652 واستولى عليها البريطانيون عام 1806، محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الثاني، مصدر سابق ص 1524 .
- (10) أكبر مدن جمهورية جنوب أفريقيا في إقليم الترنسفال أنشئت عام 1886، محمد شفيق غربال لموسوعة العربية الميسرة، مصدر سابق، ص 673 .
- (11) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية، الوثائق العثمانية، وثائق بدون تصنيف، تاريخها 1912/02/04 ترجمة د.عبدالكريم أبو شويرب.
- (12) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية، الوثائق العثمانية، وثائق بدون تصنيف، تاريخها 1912/02/04 ترجمة د.عبدالكريم أبو شويرب .
- (13) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية، الوثائق العثمانية، وثائق بدون تصنيف، تاريخها 1912/02/04 ترجمة د.عبدالكريم أبو شويرب .
- (14) يشكل المسلمون الهنود نسبة كبيرة من عدد السكان في هذه الجمهورية .
- (15) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية، الوثائق العثمانية، وثائق بدون تصنيف، تاريخها 1912/05/04 ترجمة د.عبدالكريم أبو شويرب.
- (16) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية، الوثائق العثمانية، وثائق بدون تصنيف، تاريخها 1912/05/23 ترجمة د.عبدالكريم أبو شويرب.

- (17) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية، الوثائق العثمانية، وثائق بدون تصنيف، تاريخها 1911/12/18 ترجمة د.عبدالكريم أبو شويرب .
- (18) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية ، الوثائق العثمانية، وثائق بدون تصنيف، تاريخها 1912/01/25 ترجمة د.عبدالكريم أبو شويرب .
- (19) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية، الوثائق العثمانية، وثائق بدون تصنيف، تاريخها 1911/11/11 ترجمة د.عبدالكريم أبو شويرب .
- (20) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية، الوثائق العثمانية، وثائق بدون تصنيف، تاريخها 1912/01/25 ترجمة د.عبدالكريم أبو شويرب .
- (21) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية، الوثائق العثمانية، وثائق بدون تصنيف، تاريخها 1912/02/01 ترجمة د.عبدالكريم أبو شويرب .
- (22) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية، الوثائق العثمانية، وثائق بدون تصنيف، تاريخها 1912/04/10 ترجمة د.عبدالكريم أبو شويرب .
- (23) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية، الوثائق العثمانية، وثائق بدون تصنيف، تاريخها 1912/02/01 ترجمة د.عبدالكريم أبو شويرب .
- (24) إحدى الجزر الواقعة في المحيط الهندي، وتبعد حوالي 1800 كم من الساحل الشرقي لجنوب أفريقيا وعاصمتها بورليوس . www.BINTNOT.COM
- (25) الروبية عملة هندية متداولة في جزرة موريس تعادل 100 سنت إنجليزي، إلا أنه لا بد من الإشارة إلي أن وحدة العملة في اتحاد جنوب أفريقيا مرتبط بالجنيه الأسترليني ويساويه في القيمة، انظر محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، مصدر سابق، ص 652
- (26) محمد الأسطى، صدى حركة الجهاد الليبي في العالم الإسلامي تبرعات وامتطوعون 1911-1912، مجلة الشهيد، العدد الخامس، 1984 م ص 115 .
- (27) للمزيد حول بعثات الهلال الأحمر العثماني، انظر الناجح الأخضر، مصادر الإمداد والتموين، 1911 - 1931 مصدر سابق، ص 171- 172 .